

## القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

د/فاتن عبداللطيف على العامر

أستاذ مساعد بكلية الآداب، جامعة الملك فيصل

#### مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أما بعد...

يرجع انقلاب القيم عند الصعاليك لأسباب عدة، منها: الفقر الذي اضطر الصعاليك لقطع الطرق على الناس واعتبار ما يفعلونه شجاعة، ومنها: نبذ القبائل لهم بسبب أعمالهم المخالفة، ومنها: التفرقة العنصرية بسبب لون بعضهم الأسود، وغلظة الشفاه، والانتماء لأمّ أجنبية.

وانقلاب القيم في أبسط تعريف إجرائي له هو مخالفة النسق القيمي الشائع في البيئة العربية؛ فكان النسق يمجّد البطولة والفروسية والشجاعة والشهامة وإعطاء الأمان للمارة وحمايتهم وإكرام الضيف، أما الصعاليك فاعتبروا الغارة والسلب والنهب بطولةً وشجاعةً وفروسيةً، وعدّوا السلب وسيلةً للمساواة والعدل وإعطاء الفقراء حقوقهم المسلوبة منهم من الأغنياء.

والقيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر الجاهلي اختلفت عن القيم المقلوبة في العصر الأموي واستمر بعضها، واختلفت كذلك في العصر العباسي، لكنها ظلت مختلفة عن القيم المجتمعية وفيها انقلاب ملحوظ.

ومعلوم أن موضوع الصعاليك وانتهاجهم طريقة السلب والنهب قد سبق تناوله من قبل الباحثين السابقين، ولكن هذا لا يمنع من قراءة أخرى تهتم بزوايا الكشف عن القيم بوجه عام عند الصعاليك ومخالفتها للقيم المجتمعية المعروفة.

وهذا الموضوع قد تم تدعيمه بالكثير من الأبيات الشعرية المأخوذة من الدواوين الموثقة.

فقد تناول البحث خمسة مباحث؛ هي: القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك تعريفها وسردها، ونماذج من القيم المقلوبة عند الصعاليك (الغارة)، والقيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر الأموي وصدر الإسلام، والقيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر العباسي، والأسلحة التي ساعدت الصعاليك فيما يقومون به وأسهمت في انقلاب قيمهم.

والله من وراء القصد

## المبحث الأول

### تعريف القيمة المقلوبة وأسبابها

عاش العرب في الجاهلية حياةً متقلبةً فيها من الأخلاق والقيم السامية ما فيها وفيها أيضاً من القيم والعادات البغيضة ما فيها، فكان لديهم العديد من القيم السامية كإكرام الضيف، والشجاعة، والفروسية، واحترام الكبير، وحب العمل، ونجدة الملهوف والوفاء بالعهود وغير ذلك من القيم الرفيعة، وعلى النقيض من ذلك كان لديهم العديد من القيم السيئة كالشرك، والظلم، والاستعباد، والكبر عند السادة، وواد البنات، فلما بُعث النبي - صلى الله عليه وسلم - في شبه الجزيرة العربية بعث ليتمم مكارم الأخلاق، فمن أهداف البعثة النبوية إتمام مكارم الأخلاق الموجودة في المجتمع وتقويم المعوج من الاعتقاد والسلوكيات<sup>(١)</sup> مصداقاً لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «إنما بُعثت لأتمم صالح الأخلاق»<sup>(٢)</sup>، فالإسلام جاء مهذباً للقيم الحميدة ورافضاً للقيم السيئة واضعاً لها الحلول. بيد أن مفهوم القيم الحميدة حدث لها تغييرٌ في فكر الشعراء الصعاليك، ووجدنا اختلافاً وانقلاباً للقيم عندهم.

### المطلب الأول: معنى انقلاب القيم عند شعراء الصعاليك:

كانت حياة الصعاليك تغلب عليها الغزو والإغارة للسلب والنهب، لكن الصعاليك كانوا ينظرون إلى هذه الغزوات نظرة الأبطال فيتحدثون عنها في شعرهم حديث المؤمن بقيمتها في حياته<sup>(٣)</sup>، المعجب بها وبقدرته على تخليص نفسه من الأخطاء والنجاة في وقتٍ عزت فيه النجاة، ويصف نفسه بالحزم والذكاء لأنه استعان بالحيلة في مواطن الخطر<sup>(٤)</sup>، ومن مظاهر فخرهم بما يصنعون يصف كلُّ منهم المغامرات التي يخوضها منذ أن تأخذ جماعة الصعاليك في وضع الخطة إلى أن تنتهي غارتهم ويعودون بما سلبوا بعد تحقيقهم لأهدافهم، وهم يصفون، في أثناء ذلك، الطريق الذي سلكوه ويتحدثون عن رفاق الغارة، وعن توزيع الأدوار بينهم، فلكلِّ منهم دور، وكيف نفذ كلُّ منهم دوره بشجاعة، وكيف

(١) رسم الأهداف، أبو ذر عبد القادر بن مصطفى بن عبد الرازق المحمدي، ص ٢٤، المكتبة الشاملة المعاصرة.

(٢) أخرجه احمد ٣٨١/٢، والبخاري في الأدب المفرد (٢٧٣) بإسنادٍ صحيح.

(٣) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د/ يوسف خليف، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ص ١٨٢.

(٤) المصدر السابق، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ١٨٦.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

نجحت خطتهم ووقعها في أعدائهم وآثارها البالغة، وكيف انتهت الغارة وعاد فتیان الصعاليك إلى قواعدهم سالمين بعد أن قتلوا وسلبوا ونهبوا<sup>(٥)</sup>.

فيذكر الشنفرى أنه خرج في غارةٍ ومعه جماعة من الصعاليك منهم عامر بن الأخنس وتأبط شرا والمسيب وعمرو بن براقه ومرة بن خليف يقصرون العوص وهم حي من بجيلة، فلما انتهت الغارة وهم عائدون في طريقهم اعترضت لهم خثعم ودارت بينهم معركة انتصر فيها الصعاليك، فإذا ما انتهت المعركة نظم الشنفرى شعره في أبياتٍ مشوقةٍ حدثنا فيها بدقةٍ وتفصيلٍ عن هذه المعركة بدايةً من إخباره لزوجته بخروجه غير مبالٍ بحياته وقيم المبالاة وهو يعلم أن الموت حقيقة وأن أجله آتٍ لا محالة، فيقول<sup>(٦)</sup>:

دَعِينِي وَقُولِي بَعْدَ مَا شِئْتِ إِنِّي      سَيُعْدِي بِنَعْشِي مَرَّةً فَأُعِيبُ

فهو يتحدث عن إخباره لزوجته بخروجه ويخبرها سريعاً ولا يكثر الحديث ولا يطيله لأنه متشوق لإدراك رفاقه وعنده لهفة شديدة وهذا الموقف لا يحتمل ريثاً ولا إبطاءً، فليترك امرأته بعد هذا القول الفاصل "دعيني وقولي بعد ما شئت"، وبعد هذا يذكر حجة القاطعة "إنني سيعدي بنعشي مرة فأغيب"، وليسرّع إلى رفاقه في لهفة شديدة، يمثلها انتقاله السريع من هذا الحديث إلى حديثه عن خروجهم في مغامرتهم ويذكر لنا أنهم كانوا ثمانية وقد خرجوا كالذئاب غير خائفين فيقول<sup>(٧)</sup>:

خَرَجْنَا فَلَمْ نَعْهَدْ وَقَلَّتْ وَصَائِنَا      ثَمَانِيَّةٌ مَا بَعْدَهَا مُتَعَبُ  
سَرَّاحِينَ فِتْيَانٍ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ      مَصَابِيحُ أَوْ لُؤْنٌ مِنَ الْمَاءِ مُذْهَبُ

ثم يذكر سيرهم مسرعين في طريقهم لا يوقفهم شيء حتى العطش، ثم ها هم بعد

ثلاثة أيام يصلون إلى هدفهم يتقدمهم دليل خيف فارغ شجاع<sup>(٨)</sup> فيقول:

نَمْرٌ بَرَهُوَ الْمَاءِ صَفْحًا وَقَدْ طَوْتُ      ثَمَانِلْنَا وَالسَّزَادُ ظَنٌّ مُغِيبُ  
ثَلَاثًا عَلَى الْأَقْدَامِ حَتَّى سَمَّا بِنَا      عَلَى الْعَوْصِ شَعْشَاعٌ مِنَ الْقَوْمِ مَحْرَبُ

ثم يتحدث عن المعركة التي دارت قبيل الفجر مصوراً لها، وقام كل صعلوكٍ منهم بدوره فيها في بطولةٍ وشجاعة: فهذا تأبط شرا قد بدأ هجومه السريع بسيفه الذي يهتز في يده لسرعة ضرباته، وأما المسيب فقد أعمل فيهم سيفه في تصميمٍ لا يلين، وأما شاعرنا

(٥) المصدر السابق، ص ١٨٢.

(٦) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، طبعة بولاق، ٢١٥/١٨، ٢١٦.

(٧) ديوان الشنفرى: جمع وتحقيق وشرح دكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٢٠١٧-١٤١٧م، ص ٢٧.

(٨) المصدر السابق، ديوان الشنفرى، ص ٢٧، وانظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ١٨٣.

## د/ فاتن عبداللطيف على العامر

الشنفري فقد وقف في شجاعة وبطولة للدفاع هو وجماعة من فتيان الصعاليك، وكانوا ثابتين حتى انتهت المعركة بانتصار الصعاليك بعد أن قتلوا جماعة من أعدائهم وسلبوهم<sup>(٩)</sup>، أما الأعداء فقد أصابهم الفزع والذعر والخوف، فيذكر ذلك قائلًا:

فثاروا إلينا في السواد فهججوا  
فشنّ عليهم هزة السيّف ثابتٌ  
وظلّت بفتيان معي أتقيهمُ  
وقد خرّ منهم راجلان وفارسٌ  
وصوتَ فينا بالصباح المئوبُ  
وصمّمَ فيهم بالحسام المسيّبُ  
بهنّ قليلاً ساعة ثمّ خيّبوا  
كميّ صرعناه وخوم مسلبُ  
ثمانيّة والقوم رجلٌ ومقنبُ<sup>(١٠)</sup>

وها هو الشاعر قد انتهى من تصوير غارتهم الناجحة وقد عادوا منها سالمين يشعرون بالفخر والاعتزاز فيقول:

فلما رأنا قومنا قيل أفلحوا  
فقلنا اسألوا عن قائل لا يكذب

ويتحدثون عن ترصدهم لضحاياهم وارتقابهم الفرصة الملائمة لمهاجمتهم حديث الذي يملك الجرأة وقوة القلب، وهذه الأحاديث يُطلق عليها شعر المراقب<sup>(١١)</sup>، والمراقب عندهم عُني بها المرتفعات العالية التي يشرفون منها على الطريق بحيث يرون الناس ولا يرونهم، ويكثر "شعر المراقب" في أحاديث الصعاليك؛ فالمراقبة دائمًا منيعة آبية، وهم يتربصون فوقها والليل مقبل ليكون هذا أمعن في التخفي، وأدل على جراتهم وقوة قلوبهم<sup>(١٢)</sup>، فهذا الشاعر الصعلوك عمرو بن براءة يتحدث عن ذلك ويصف الصعاليك بأن نومهم قليل.

وأما تأبط شراً فالمراقبة عنده ذات صورة طريفة، فهي مراقبة تعلق سائر المراقب، كما أنها ذات تجاعيد فهي كالعجوز الشمطاء التي ترتدي ثياباً بالية، ولكنه مع ذلك ما إن ينتصف الليل حتى ينهض إليها ليبدأ في تنفيذ خطته<sup>(١٣)</sup>، فيقول:

(٩) المصدر السابق، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ١٨٤.

(١٠) هججوا: صاحوا، المئوب: الداعي المكرر الدعاء. الخوم: التثقل. الربع: المرتفع من الأرض، الرجل: الجماعة على أرجلهم. المقنب: الجماعة على الخيل وقد خالفنا الأستاذ الميمني في شرحه البيت الأخير (انظر الطراف الأديبية/ ٣٣).

(١١) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ١٨٧، ١٨٨.

(١٢) المصدر السابق، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ١٨٧، ١٨٨.

(١٣) ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق: على ذي الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١٤٠٤-٥١٩٨٤م ص ١٨١، وانظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ١٨٩.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

مُدْبِدْبَةٌ فَوْقَ الْمَرَاقِبِ عَيْطَلٌ  
عَجُوزٌ عَلَيْهَا هَدْمِلٌ ذَاتُ حَيْعَلٍ

وَمَرْقَبَةٌ يَا أُمَّ عَمْرٍ طَمِيرَةٌ  
نَهَضَتْ إِلَيْهَا مِنْ جُثُومٍ كَأَنَّهَا

وكان الصعاليك يتخذون السلب والإغارة وسيلة للبدل والعتاء وإنصاف المحتاجين من أموال الأغنياء البخلاء، فكان كرمهم مما يغتمونه من غزواتهم في أرجاء الصحراء المترامية الأرجاء<sup>(١٤)</sup>.

وكانت الصحراء الواسعة ميداناً لممارسة الإغارة وما يتبعها من أعمال التشرذم حتى أن بعضهم ألفته الوحوش واستأنست به لكثرة العشرة والإقامة والصحبة والرفقة<sup>(١٥)</sup>.

ومما سبق ذكره يتضح لنا معنى القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك، فالقيمة المقلوبة يمكن تعريفها إجرائياً بأنها: مخالفة النسق القيمي الشائع في البيئة العربية، فكان النسق يمجّد البطولة والفروسية والشهامة وإعطاء الأمان للمارة وحمايته وإكرام الضيف، أما الصعاليك فاعتبروا الغارة والسلب والنهب بطولة وشجاعة وفروسية، وعدّوا السلب وسيلةً للمساواة والعدل وإعطاء الفقراء حقوقهم المسلوقة منهم من الأغنياء، فالقيمة التي يعتبرها المجتمع سيئةً ومعيبةً ينظرون إليها هم نظرة الاستحسان والفخر؛ إذ ينظرون إلى أعمال السلب والنهب التي يعيها الناس، نظرة الشجاع الفخور بأعماله البطولية، وينظرون لما يسرقونه نظرة المنصف للفقير، وينظرون إلى التشرذم حتى ألفه الوحوش لهم نظرة الإعجاب والاستحسان، وقد أشار تأبط شراً إلى هذا الأمر بقوله<sup>(١٦)</sup>:

يَبِيْتُ بِمَعْنَى الْوَحْشِ حَتَّى أَلْفَنُهُ      وَيُصْبِحُ لَا يَحْمِي لَهَا الدَّهْرَ مَرْتَعًا  
عَلَى غَرَّةٍ أَوْ جَهْلَةٍ مِنْ مَكَائِسِ      أَطَالَ نِزَالَ الْمَوْتِ حَتَّى تَسْعَسَعَا  
رَأَيْنَ فِتْيَ لَا صَيْدَ وَحْشٍ يَهْمُهُ      فَلَوْ صَافَحَتْ إِنْسًا لَصَافَحَتْهُ مَعَا

المطلب الثاني: الأسباب التي دفعت لوجود القيم المقلوبة عند الصعاليك:

١- كانت الحياة في العصر الجاهلي في شبه الجزيرة العربية فيها عدد من الظواهر التي أثرت في تصرفات الصعاليك واقتراهم مثل هذه الأعمال، فعند النظر إلى أخبار هؤلاء الصعاليك نجدها حافلةً بالحديث عن فقرهم؛ فكل الصعاليك فقراء لا نستثني منهم أحدًا، ومنهم عروة بن الورد سيد الصعاليك، والذي تحدث كثيراً في أشعاره عن فقره، ومعاناته

(١٤) الصعاليك في العصر الجاهلي أخبارهم وأشعارهم، محمد رضا مروّة، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان-ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، ص٣٣.

(١٥) المصدر السابق، الصعاليك في العصر الجاهلي، ص٣٧.

(١٦) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص ١١٥، وانظر: الصعاليك في العصر الجاهلي أخبارهم وأشعارهم، ص٣٧.

من الحرمان الشديد، وما يتكبده في سبيل الغنى من جهدٍ ومشقةٍ، وما يشعر به من ثقل  
التبعة التي يتحملها إزاء أهله، وإزاء أصحابه، الصعاليك أيضًا<sup>(١٧)</sup>، فيقول:

ذريني للغنى أسعى، فإني رأيت الناس شرهم الفقير<sup>(١٨)</sup>  
فسير في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فثُعدراً<sup>(١٩)</sup>  
ومن يك مثلي ذا عيالٍ ومُقتِراً من المال يطرح نفسه كلَّ مطرح<sup>(٢٠)</sup>

ولعل الجوع أفسى ما يحمّله الفقر إلى جسد الفقير، والجوع -كما يقرر علماء الاجتماع-  
أول الدوافع المسيطرة على حياة الإنسان، والعرب منهم من كان يغير من أجل الحصول  
على الطعام<sup>(٢١)</sup>، وقد يشعر بعض الأفراد بنوع من الغبن والامتهان بسبب سوء حالتهم  
الاقتصادية، وضيق ذات أيديهم، بينما ينعم غيرهم بالعيش، فآلمهم أن يعيشوا في البؤس  
والحرمان وغيرهم يرتفع في الثراء وهم ليسوا أحق بالغنى منهم<sup>(٢٢)</sup>. فالجوع إذا  
كان أفسى ما يصيبه الفقر من سياطٍ على جسد الفقير، فإن هناك سياطاً أخرى لا تقل قسوةً  
عن سياط الجوع، ولكنها سياط نفسية يصبها الفقر على نفس الفقير، وعلماء النفس  
المحدثون يحاولون الحديث عن العقد التي تصيب النفس البشرية ومن بينها عقدة بسمونها  
(عقدة الفقر) وهي تلك التي تتكون نتيجة الإحساس بالفقر، وتدفع صاحبها في محاولة  
التعويض عن الشعور بالنقص إلى العمل على أن يصير غنياً<sup>(٢٣)</sup>.

٢- ومن العوامل التي أثرت أيضاً في حياة الصعاليك وشعرهم هو منزلتهم  
الاجتماعية، وعدم تقدير المجتمع لهم، وعجزهم عن أخذ حقوقهم بسبب ظلم المجتمع لهم،  
وفي ظل تجرد هؤلاء الفقراء من كل وسائل الحياة المشروعة، فإن أمرين أمامهم:  
أولهما: إقبالهم على هذه الحياة الذليلة المهينة في أطراف المجتمع البعيدة يخدمون الأغنياء  
أو ينتظرون فضل ثرائهم، أو يطلبون منهم في ذلةٍ ومهانة<sup>(٢٤)</sup>، وثانيهما: حرصهم على

(١٧) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ٢٩.

(١٨) ديوان عروة بن الورد، ص ١٩٨.

(١٩) المصدر السابق، ديوان عروة بن الورد، ص ١٩١.

(٢٠) المصدر السابق، ص ٩٩.

(٢١) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د/يوسف خليف، ص ٢٩.

(٢٢) التمرد في الشعر الجاهلي، د/السيد أحمد عمار، مطابع غباشة، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م، ص ٧٠.

(٢٣) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ٣١، ٣٢.

(٢٤) المصدر السابق، ص ٣٣.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

حياة كريمة بالقوة وبانتزاع لقمة العيش من أيدي من حرموهم منها باستخدام الوسائل المشروعة وغير المشروعة مثل النصب والإغارة<sup>(٢٥)</sup>.

فلم يكن إقبال الصعلوك على حياة الغزو غاية في حد ذاته بقدر ما كان وعيا شعوريا واضحا ولده إحساس بالغبن الاجتماعي<sup>(٢٦)</sup>.

٣- ومن العوامل أيضاً تمردهم على تقاليد القبيلة العمياء، وذلك لأنهم يمتلكون أنفساً كبيرة تكره الخنوع والاستكانة، فرفضوا الأعمال التي كان العبيد وأشباههم يقومون بها، ويأنف السادة من القيام بها، كخدمة الإبل<sup>(٢٧)</sup>، ويصرح تأبط شراً بترفعه على هذه الأعمال الفرعية وأنفته من القيام بها<sup>(٢٨)</sup>:

وَأَسْتُ بَيْرَعِي طَوِيلَ عَشَاوُهُ  
يُوْنَفُّهَا مَسْتَأْنَفَ النَّبْتِ مِبْهَلُ<sup>(٢٩)</sup>

فهم لا يرتضون لأنفسهم إلا تلك الأعمال الأساسية التي يقوم عليها المجتمع البدوي كالغزو والإغارة<sup>(٣٠)</sup>، فيقول تأبط شراً:

متى تبغني مادمت حيا مسلما  
تجدني مع المسترعل المتعبل

فهم يطلبون لأنفسهم مكان الأبطال، هذا المكان في الطليعة المتقدمة بين القادة والأبطال وليس وراء الإبل أو بين قطعان الغنم.

٤- ومن العوامل التي أثرت في حياة الصعاليك وشعرهم وانقلاب القيم لديهم حبهم للكرم وإكرام ضيوفهم، وأشهرهم في هذا الأمر عروة بن الورد الذين قارنه عبد الملك بن مروان بحاتم الطائي، فقال: من زعم أن حاتمًا أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد، فقد كان حبه للكرم دافعاً من دوافع ثروته الاقتصادية التي كانت تدفعه إلى مهاجمة الأغنياء البخلاء ليوزع ما يغممه على الفقراء الذين كانوا يلتفون حوله<sup>(٣١)</sup>.

ومادة هذا الكرم الذي يتصفون به هي ما يغمونه من غزواتهم في أرجاء الجزيرة العربية، وغاراتهم على القبائل أو على القوافل التجارية أو على طبقة الأغنياء والبخلاء،

<sup>(٢٥)</sup> الصعاليك في العصر الجاهلي أخبارهم وأشعارهم، د/ محمد رضا مروءة، ص ٣٢.

<sup>(٢٦)</sup> التمرد في الشعر الجاهلي، د/ السيد أحمد عمارة، ص ٩٥.

<sup>(٢٧)</sup> الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د/ يوسف خليف، ص ٣٠.

<sup>(٢٨)</sup> ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ١٧٦.

<sup>(٢٩)</sup> لسان العرب: مادة (رعي)- الترعي: الذي يجيد رعية الإبل أو من صناعته وصناعة آبائه الرعي.

<sup>(٣٠)</sup> ديوان تأبط شرا وأخباره، ص ١٧٨.

<sup>(٣١)</sup> الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ٣٧، ٣٨.

## د/ فاتن عبداللطيف على العامر

فقد كانت هذه الغنائم تتيح لهم فرصة مهما كانت قصيرة لكي يتشبهوا بالسادة الأغنياء في البذل والعطاء واكتساب المحامد (٣٢).

فكان الصعاليك يعدون نجاحهم في هذه الغزوات من السيادة والنبيل، فالغزو والغارة والسلب والنهب عندهم ليس وسائل للغنى وجمع المال فحسب، بل هي وسائل للبذل والعطاء، واكتساب المحامد، والتشبه بالسادة الأغنياء في الكرم والجود فيصفون على المواعد الإبل التي نهبوا ليأكل منها اليتامى والأرامل، وفي هذا المعنى يقول عروة:

دَعِينِي أَطْوَفَ فِي الْبِلَادِ لِعَلَّنِي      أَيْدُ غَنَى فِيهِ لَدِي الْحَقِّ مُحْمَلٌ  
أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تُسَلِّمَ مُلِمَّةً      وَكَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحَقِّ مَعْوَلٌ  
فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَمْلِكْ دِفَاعًا بِحَادِثٍ      تَلَّمْ بِهِ الْأَيَّامُ فَالْمَوْتُ أَجْمَلُ (٣٣)

٥- ومن العوامل التي أثرت في انقلاب القيم عند شعراء الصعاليك اغترابهم لكونهم ضد أن يكون واحد منهم ممثلًا يؤدي ما رُسم له من أدوارٍ ويفصل عن العالم بما فيه من قهرٍ وعشوائية، ويلجأ لداخل النفس ينشد السكينة والطمأنينة لينقذ نفسه من الضياع ويفصل عن ذاته للتناقض الذي يعيشه ويعاني منه.

فشكل شعر الصعاليك صرخة وجع تصف حاله ومخاوفه وهواجسه من المستقبل، صوت يصف لنا المنفى وصراع البقاء لتتولى الهموم عليه دون انقطاع، فرغم اضطباره إلا أن أنين الاغتراب والوحشة يظهر في قصائده. (٣٤) فهذا الشنفرى يعلن الانفصال عن قبيلته والبحث عن قوم آخرين، يقول:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِيَّةٍ صَدُورَ مَطِيَّكُمْ      فَإِنِّي إِلْسِي قَوْمِ سِوَاكُمْ لِأَمِيلُ  
فَقَدْ حُمَّتِ الْحَاجَاتُ وَاللَّيْلُ مَقْمَرٌ      وَشَدَّتْ لَطِيَّاتُ مَطَايَا وَأَرْحُلُ (٣٥)

٦- كان الموت عندهم يلقي المقيم عند أهله كما يلقاه البعيد عنهم سواءً بسواء، لذلك كان الموت في شعرهم عذبًا مستساغًا وهو الموت الذي يخشى منه الناس، وهذا ما نجده في شعر عمرو بن بَرَّاقَةَ الهمداني:

وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلُ مَنْ جُلُّ هَمِّهِ      حُسَامٌ كُلُّونَ الْمَلْحِ أَبْيَضُ صَارِمٌ  
عَمُوضٌ إِذَا عَضَّ الْكَرِيهَةَ لَمْ يَدَعِ      لَهُ طَمَعًا طَوْعُ الْيَمِينِ مُلَازِمٌ (٣٦)

(٣٢) المصدر السابق، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص ٣٨، ٣٩.

(٣٣) ديوان عروة بن الورد، ص ٢٠٦.

(٣٤) المضمرات النفسية والاجتماعية في شعر الصعاليك-تجربة الشنفرى نموذجًا-، د. شريف سعاد، مجلة سياقات اللغة والدراسات البيئية، المجلد الرابع، العدد الأول، أبريل ٢٠١٩م، ص ٨٨.

(٣٥) ديوان الشنفرى، ص ٥٨.

(٣٦) عمرو بن بَرَّاقَةَ الهمداني، سيرته وشعره: شريف راغب علاونة، دار المناهج، عمَّان، الأردن، ط ١- ١٤٢٤هـ ٢٠٠٥م ص ٧٥، وانظر: الاتجاهات الفكرية في شعر الصعاليك، د/ عماد خليفة سليمان داود الدايني البيهقي، ص ٦.



ظاهرة الصعلكة نشأت - كما هو مقرر بين الباحثين - في العصر الجاهلي وامتدت إلى عدة عصور بعده، وكان لنشوتها أسباب عديدة، لعل أهمها ما كان يعانيه الصعلكة من صعوبة الحياة وشظف العيش، في الوقت الذي وجد في مجتمعهم عدد من أصحاب الثروات، وهذا الأمر جعلهم يشعرون بحنق شديد على الأغنياء وعلى أصحاب الأموال، ويعترضون على وضعهم الاجتماعي والمادي، ولم يكن الفقر وحده السبب الوحيد الذي جعل الصعاليك يقومون بأفعالهم بل الدافع الاجتماعي - كما سيأتي - كان له أكبر الأثر في نشأة الصعاليك، وكل تلك الظروف جعلت الصعاليك يقومون بالتمرد على واقع مجتمعهم، ويقومون بقطع الطرق والاستيلاء على القوافل وغيرها من الأفعال التي لاقت استهجانا في المجتمع، بينما عدها الصعاليك حقا لهم، وبالتالي قلبوا المفاهيم، فاعتبروا أن ما يقومون به حق مكتسب لهم، وأن ما يكتسبونه إنما هو غنيمة لهم تعبوا في تحصيلها.

وقد حاول الباحثون في الأدب العربي والتاريخ أن يجمعوا الأسباب التي دفعت الصعاليك للقيام بما يفعلونه وما يخللونه لأنفسهم، وإن جاءت عباراتهم مختلفة إلا أن معظم الباحثين ينتقون أن الدوافع إما مادية وإما معنوية، فالمادية تشمل ما يشعرون به من الجوع وشظف العيش وغير ذلك، والمعنوية تشمل النظرة الاجتماعية للصعاليك، ومحاولتهم إثبات قيمتهم في المجتمع، وعدم رضا النساء بالزواج منهم وغيرها من الأمور التي جعلهم ينتقصون أنفسهم أو ينتقصهم غيرهم بسببها.

#### أولاً: الدافع المادي:

يعزى الدافع المادي في التصعلك إلى فقرهم الشديد وشعورهم بالجوع والمسغبة، ورغم ذلك فنفسهم تأبى الطلب من أحد، أو الاستجداء وطلب المساعدة من غيرهم، وقد تمتعوا بلباقةً بدنيةً عالية، وكان الفقراء مضطهدون، وكانوا يشعرون بنبذهم من المجتمع

## د/ فاتن عبداللطيف على العامر

ويرون ضرورة جلب المال والتماس جوانب الغنى أينما كانت فهامهم فقراء يرون أنهم ذوو عيال، وهذا عروة بن الورد يخاطب زوجته قائلاً (٣٧):

دَعِينِي لِلْغِنَى أَسْعَى فَايْتِي      رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

لقد التمس المحللون العذر للصعاليك إذ يرون أن الجوع أول الدوافع المسيطرة على حياة الإنسان، وأن الصعلوك ليس له دافع كبير في الصعلكة أكبر من الجوع، الذي دفعهم إلى أن يقوموا بالغارات والسلب والنهب والاعتداء على القوافل، فكان عدد من المحللين يمتدحون الصعلوك القوي الذي ينقض على أعدائه ويقتلهم بهم ويأخذ منهم الغنائم، وينتهز الفرص التي تهباً له، وأصحاب هذا الاتجاه يلومون الصعلوك المتسكع حول موائد غيره يرتجي عنده فضلات من طعامٍ أو قطعة لحم، فيهم الفرصة، وهذه وإن كانت صفة سيئة في الإنسان -العجز والكسل- وهي التي تجعله عالة على غيره، فإنها في الصعلوك أشد سوءاً؛ لأنه لا يمكنه العيش إلا إذا نفض عن نفسه غبار العجز والكسل وألا يصبح يحث عن جنبه الحصى في كسلٍ وعجزٍ ولا يفكر إلا في قوت بطنه، فيقول عروة بن الورد رافضاً هذا الأمر (٣٨):

لَحَى اللَّهُ صَعْلُوكًا إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ      مَصَافِي الْمَشَاشِ أَلْفًا كُلَّ مَجْزُرٍ  
يَعُدُّ الْغِنَى مِنْ نَفْسِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ      أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرٍ  
يَنَامُ عِشَاءً ثُمَّ يُصْبِحُ نَاعِسًا      يَحْتُ الْحَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفَّرِ  
قَلِيلُ التَّمَّاسِ الزَّادِ إِنَّا لِنَفْسِهِ      إِذَا هُوَ أَمْسَى كَالْعَرِيشِ الْمَجُورِ  
يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعْنَهُ      وَيَمْسِي طَلِيحًا كَالْبَعِيرِ الْمَسْحَرِ  
وَلَكِنْ صَعْلُوكًا صَفِيحَةً وَجْهَهُ      كَضَوْءِ شَهَابِ الْقَائِسِ الْمُتَنَوَّرِ  
مِطْلًا عَلَى أَعْدَانِهِ يَزْجُرُونَهُ      بِسَاحَتِهِمْ زَجْرَ الْمُنِيحِ الْمَشْهَرِ

والصعلوك جسدياً هزيل الجسم، لكنه كريم النفس شديد السطوة، والصعاليك سراع

كالشنفري الذي يعادل وقع قدمه على الأرض مشي ذكر النعامة إلى أولاده، فيقول:

أرى قدميَّ وقعهما خفيف      كتحليل الظليم حداً رئاله (٣٩)

(٣٧) ديوان عروة بن الورد، ص ٦٨، وانظر: ديوانا عروة والسموأل، دار صادر، بيروت، ط ١-١٤٠٢م ١٩٨٢م، ص ٢٢، ٤٤، ٤٥، بالترتيب، والشعراء الصعاليك، د/ يوسف خليف، ص ٢٩.

(٣٨) الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، ط ١-١٤٢٣م، ٢/٦٦٥.

(٣٩) ديوان تأبط شرّاً، ص ١٩٨.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

وَبِعَدْوِهِمْ ضُرِبَ الْمَثَلُ فَقِيلَ: "أعدى من الشنفرى"، و"أعدى من السليك"، وبعد السليك أيضًا من عدائي العرب، الذين كانوا لا يلحقون ولا تتعلق بهم الخيل ومعه الصعلوك تأبط شراً، والشنفرى، وعمرو بن براق الذي له في عدوه ثلاثة أطلاق، الأولى كالريح الهابة، والثانية كالفرس الجواد، والثالثة يكبو ويتعثر، ويقال مثله عن سرعة حاجز الأسد من كان يسبق الخيل<sup>(٤٠)</sup>، فأصغ إليه وهو يعتز بسرعه في فراره على رجليه، فيفدي رجليه أمه وخالته لأنهما سبب نجاته فيقول:

فِدَى لِكُمَا رَجُلِيَّ أُمِّي وَخَالَتِي      عِدَاةُ الْكَلَابِ إِذْ تُحَزُّ الدَّوَابِرُ  
نَجَوْتُ نَجَاءً لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ      كَأَنِّي عُقَابٌ عِنْدَ تَيْمَنَ كَاسِرٍ

ويعتبر الصعاليك أن قدرتهم على قطع الطريق يمثل شدة العزيمة وقوة المراس والقدرة على القتال في أشد الظروف وأن ما يأخذونه حق مكتسب لهم وأنه جزء من الحقوق المسلوبة منهم.

ثانياً: الدافع المعنوي:

لقد شكلت الدوافع المعنوية لدى الصعاليك عاملاً مهماً في احترافهم للصعلكة، وكان السر الذي أعطاهم القوة التي جعلتهم يقومون بأفعالهم سر معنوي، حيث إن ما امتلكوه من شجاعة وصبر ورباطة جأش وقدرة نفسية على الكر والفر كان السر في تلك القوة التي امتلكوها، بل إنهم ما مدحوا القوي فيهم إلا من يملك مثل تلك الصفات، فهذا أبو خراش الهذلي يخاطب زوجته<sup>(٤١)</sup>:

فإن تزعمي أنني جينت فإني      أفر وأرمي مرة كل ذلك  
أقاتل حتى لا أرى لي مقاتلاً      وأنجو إذا ما خفت بعض المهالك

ويعد الفقر سبباً مؤدياً إلى صرايحهم مع زوجاتهم لفقرهم واعتراض بعضهن على التصعلك مثل عروة بن الورد الذي ينازعه منزعه منزعان: نفسي داخلي، ونفسي خارجي من زوجته<sup>(٤٢)</sup>، والنتيجة أنه حسمهما بقرار التصعلك؛ فيقول<sup>(٤٣)</sup>:

(٤٠) المفضليات، الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦- ١٩٦٤م، ص١٦٥، وانظر: الغارة عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية، ص٦١.  
(٤١) انظر: الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم) تحقيق وتعليق: السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١- ١٩٦٥م، ٣٠٤/٢.  
(٤٢) الأشباه والنظائر، ٥١/١.  
(٤٣) ديوانا عروة والسموال، مصدر سابق، ص١٩.

فَلَمَوْتُ خَيْرَ لَلْفَتَى مِنْ حَيَاتِهِ  
وسائلة: أَيْنَ الرَّحِيلُ؟ وسائل  
فقيراً، ومن موئى تدبُّ عقاربُهُ  
ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه

ومن الدوافع المعنوية الطمع في الغنى أو الرغبة في تحقيق الاكتفاء الذاتي، حتى ووصل الحال بالبعض من الصعاليك أن زوجته هي من تشجعه على التصعلك، ومن تلك النساء: تماضر زوجة عروة بن الورد وكانت تدعوه إلى المخاطرة حتى يصيب الغنائم التي يقتاتون منها، حيث ترى تماضر أن القعود مع العيال أمرٌ غير مستحب، وأن التصعلك من باب السعي على الرزق وجلب المال.

كما أن من دوافعهم المعنوية إهانتهم وإذلالهم من قبل سادتهم ورغبتهم في الانتقام كما حدث مع الشنفرى الذي لطمته بنت سيده لطمَةً أهانته إهانةً شديدة، وكانت تلك الإهانات تمثل عاملاً نفسياً مهماً لدى الصعاليك، فهذا عروة بن الورد يعاني من تلك الإهانة ويدافع عن أمه اليمانية فيقول (٤٤):

هم عيرونى أن أمى غريبة وهل في كريم ماجد ما يعير

ومن الإهانات التي كانوا يواجهونها وصفهم بسواد اللون، وكان لهذا الأمر دور بارز في تهيج وإثارة الانفعالات النفسية، رغم أن عدداً منهم كان أسود اللون إلا أنهم يكرهون أن يصمهم أحد بذلك، فالشاعر تأبط ضرّاً أسود اللون، وكذلك السليك، أما الشنفرى فغليظ الشفاة (٤٥)، فأدى ذلك إلى شعورهم بالعزلة النفسية ومنهم من اتخاذ الحيوانات المفترسة أهلاً له كالشنفرى؛ فيقول:

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سَيِّدٌ عَمَلَسٌ  
هُمُ الرَّهْطُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرِّ ذَائِعٌ  
وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرَفَاءُ جِيَالُ  
لَدَيْهِمْ وَلَا الْجَانِي يَمَا جَرَّ يُخَذَلُ

وقد أشعره لونه بفواصل منعه من الزواج بابنة سلامان التي كان عندها هجيناً فيقول (٤٦):

ولو علمت قعسوس أنساب والدي  
إذا ما أروم السود بيني وبينها  
والدها ظلت تقاصر دونها  
يَوْمَ بِيَاضِ الْوَجْهِ مَنِي يَمِينِهَا  
ألا ليت شعري والتلهف ضلة  
بما ضربت كف الفتاة هجينها

(٤٤) المصدر السابق، ص ٤٠.

(٤٥) ديوان الشنفرى، مصدر سابق، ص ٥٩، وانظر: الغارة عند الشعراء الصعاليك، ص ٦٤.

(٤٦) ديوان الشنفرى، ص ١٠٠.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

وكان من أبرز المشاكل النفسية التي واجهت الصعاليك تردد النساء في الزواج بأي منهم، خاصة وقد اشتهر عنهم البخل والحرص على نفسه فقط، دون التفكير في غيره، ولذلك كانت النساء تكرههم لما فيهم من البخل والحرص على نفع نفسه والأنانية الشديدة، وقد حاول الصعاليك الخروج من تلك الصفات وأعلن في شعره إنكاره لها، فهذا عروة بن الورد يضمن شعره أبياتاً تدل على كرهه للبخلاء، فيقول<sup>(٤٧)</sup>:

إِنِّي إِمْرُؤٌ عَافِي إِنَائِي شِرْكَةً      وَأَنْتَ إِمْرُؤٌ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدٌ  
أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمَّيْتَنِي وَأَنْ تَرَى      بَوَجْهِي شُحُوبَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ جَاهِدُ

وكذلك من الدوافع النفسية شعورهم أنهم غير مرغوب فيهم وفي حياتهم، فلا يبكي

عليهم أحدٌ إذا ماتوا<sup>(٤٨)</sup>، فيقول الشنفرى متحدثاً عن هذا الأمر:

إِذَا مَا أَتَّنِي مِيتَتِي لَمْ أَبَالِهَا      وَلَمْ تُدْرِ خَالَاتِي الدُّمُوعَ وَعَمَّتِي

<sup>(٤٧)</sup> ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، ص ٦١.  
<sup>(٤٨)</sup> ديوان الشنفرى، ص ٣٨، وانظر: الغارة عند الشعراء الصعاليك، ص ٦٥.

المبحث الثالث

القيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر الأموي وصدور الإسلام

لما انتشر الإسلام في جزيرة العرب وأشرقت الجزيرة العربية بنور ربها قلَّ عدد الشعراء الصعاليك قلَّة ملحوظةً وتضاءل نشاطهم تضاًؤلاً شديداً، وذلك لأن الإسلام كفل للناس الحياة الكريمة ووضع قوانيناً تساوي بين الناس بأطيافهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(٤٩)</sup>، وهدم النظام القبلي الجاهلي وما كان يقوم عليه من الفرقة والتناحر بين القبائل، وما انتشر فيه من تعصب كل قبيلة لأبنائها وثورتها لدفع الأذى والمكروه عنهم، وأشاع فيهم فكرة الأمة الواحدة المتراحة التي لم تعد الرابطة القبلية هي التي تجمع شملها، وبذلك ألغى الإسلام العوامل التي أدت في الجاهلية إلى نشأة الصعاليك وحملتهم على التمرد والثورة<sup>(٥٠)</sup>، وقد مضى الخلفاء يستنيرون بهذه التعاليم النبيلة وينفذونها تنفيذاً دقيقاً.

وقد أرسى الإسلام مجموعةً من القواعد الاجتماعية التي تضمن للفرد حياةً كريمةً فاضلةً ووضع حدوداً لضبط الأمن ومنع الفوضى والقضاء على الفساد والانحراف، وحرص الإسلام على تنظيم الميراث والمعاملات تنظيمًا دقيقاً<sup>(٥١)</sup>، وجعل الزكاة واجبةً على الأغنياء وحقاً للفقراء والمحتاجين، يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٥٢)</sup>.

وأصبح الخليفة وأولو الأمر مسئولين عن تأديب المنحرفين وإنزال العقاب بهم، ولهم الحق في ذلك، فكل مذنب له عقوبته على قدر ذنبه؛ فالقتل عقابه القتل، والسرقة عقابها قطع اليد، وقطع الطريق وإشهار السلاح وترويع الناس له أشد العقاب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا

<sup>(٤٩)</sup> سورة الحجرات، الآية: ١٣.

<sup>(٥٠)</sup> الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، الدكتور حسن عطوان، دار المعارف، القاهرة، مصر - ١٩٧٠م، ص ١٢.

١٣

<sup>(٥١)</sup> العصر الإسلامي للدكتور شوقي ضيف، ص ٢٠.

<sup>(٥٢)</sup> سورة التوبة، الآية ٦٠.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي  
الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٣﴾.

أولاً: اختفاء بعض القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك المخضرمين:

لم يعيش من الصعاليك الجاهليين إلا خمسة، هم الذين امتد به العمر حتى أدركوا الإسلام، وهم: أبو خراش الهذلي، وجُربية بن الأشيم، وفرعان بن الأعراف، وفضالة بن شريك، وأبو الطمحان القيني. وعلى قلة ما بين أيدينا من أخبار الشعراء الصعاليك المخضرمين وأشعارهم في الشطر الثاني من حياتهم فإننا نستطيع أن نرى بوضوح عند نفرٍ منهم تأثرهم بالإسلام والتزامهم بتعاليمه، فتوقف بعضهم عن الغارات وقطع الطرق التي وسموها بالشجاعة واسترداد الحق قبل ذلك، وركنوا إلى الهدوء وابتعدوا عن حياة التمرد والثورة، فهم مؤمنون بأن الحياة الماضية قد انتهت، وأن عهد الظلم والتفرقة قد ولى<sup>(٥٤)</sup>، ومن هؤلاء الشاعر الصعلوك أبو خراش الهذلي، الذي كان في الشطر الأول من حياته في العصر الجاهلي نشيطاً في تصعلكه، وقد سجل في شعره خروجه للغارات وتربصه بالقوافل مبرراً هذا الأمر بأنهم أصحاب قيم ويرفضون حياة الذل والعبودية فيصف رفيقاً من رفقاته، وهو من الصعاليك الأشداء الأقوياء، فمن كانوا يرفضون حياة العبودية والذل وقد اجتمعا في مرقبة خفية بالجبل يتربصان القوافل والناس استعداداً للغزو؛ فيقول:

لست لمرة إن لم أوف مرقبة	يبدو لي الحرف منها والمقاضي
في ذات ريد كذلق الفأس مشرفة	طريقها سرب بالناس دعبوب
لم يبق من عرشها إلا دعامتها	جدلان: منهدم منها ومنصوب
بصاحب لا تنال الدهر غرتة	إذا افتلى الهدف القن المعازيب
بغنته بسواد الليل يـرـقـبـني	إذ أثر النوم والدفع المناجيب <sup>(٥٥)</sup>

(٥٣) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٥٤) الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم، إعداد محمد رضا مروّء، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١- ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، ص١٥، ١٦.

(٥٥) ديوان الهذليين، مصدر سابق، ١٥٩/٢ وما بعدها، وانظر: الغارة عند الشعراء الصعاليك، ص٦٥.

وكذلك كان يتحدث عن تصعلكه وأفعاله حديث الحر الذي لا يقبل الضيم، صاحب النفس المستعلية على الحرمان والهوان التي تصير على المسغبة مع العزة والإباء، يصف نفسه بأنه ينفّر من الغنى مع الذل والظلم؛ فيقول:

وَإِنِّي لَأَثْوَى الْجُوعَ حَتَّى يَمَلَّنِي      فَيَذْهَبَ لَمْ يَدْنَسْ ثِيَابِي وَلَا جَرَمِي  
وَأَعْتَبِقَ الْمَاءَ الْفَرَاخَ فَأَنْتَهَى      إِذَا الزَّادُ أَمْسَى لِلْمُرْجِ ذَا طَعْمِ  
أَرْدُّ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعَلَّمِيئَهُ      وَأَوْثِرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكَ بِالطَّعْمِ  
مَخَافَةَ أَنْ أَحْيَا بِرَعْمٍ وَذِلَّةٍ      وَكَلَّمْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى رَعْمٍ<sup>(٥٦)</sup>

أما في الشطر الثاني من حياته، وهي الفترة التي عاشها وهو مسلم، وقد حسن إسلامه وظهرت دعوة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- واضحة جلية في عادات وأخلاق المسلمين ومنهم هذا الشاعر الذي ظهرت آثار الإسلام في سلوكه فتوقف عن أعمال الغزو والإغارة والنهب، وتوقف عن الأخذ بالثأر؛ بل ظهرت آثار الدعوة الإسلامية في شعره أيضاً فتغيرت موضوعات شعره، فقد عزف عن أحاديث الفقر والتصعلك ورفاق الماضي، ولكنه تحدث عن حزنه الشديد على ساقه التي نهشتها حيّة بأخرة من عمره، والتي طالما أسعفته في الخلاص من أعدائه المتربصين به<sup>(٥٧)</sup>، فيقول:

لَقَدْ أَهْلَكْتَ حَيَّةَ بَطْنِ أَنْفٍ      عَلَى الْإِخْوَانِ سَاقًا ذَاتَ فَضْلٍ  
فَمَا تَرَكْتَ عَدَاؤًا بَيْنَ بَصْرِي      إِلَى صَنْعَاءٍ يَطْلُبُهُ بِذَحْلِ

فالقيم المقلوبة عنده من سطورٍ وفتكٍ وتصعلكٍ التي ظن أنها شجاعة وأخذ بالثأر، قد هذبها الإسلام وعدّلها، وأشاع في نفس هذا الصعلوك الهدوء والصبر والتمسك بالحق والعدل، والامتناع عن التعدي والظلم وقطع الطريق والحق والجهل وغير ذلك، ومن الدلائل على ذلك أن أخاه أو ابن عمه زهير بن العجوة قُتِلَ يوم حنين على يد جميل بن معمر فلم يفعل شيئاً سوى رثائه له وتفجعه عليه وذكره لثمانله كالكرم الفياض والشجاعة وإكرام الضيف دون أن يهدد أو يتوعد، بل إنه قال في آخر الأبيات التي رثاه بها إنه غير قادرٍ على المطالبة بثأره أو النهوض لقتل قاتله، وذلك لأن ظروف الحياة وقوانينها تغيرت واختلقت عن أيام الجاهلية، وقد ساد العدل ووجوب الأخذ بالحق، وشبّه قواعد الدين

<sup>(٥٦)</sup> ديوان الهذليين، مصدر سابق، ١٢٧/٢.

<sup>(٥٧)</sup> الأغاني، مصدر سابق، ١٥٠/٢١، وانظر: الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، ص ١٨.



### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

الجديدة والحدود التي شرعها الله عز وجل بالقيود والسلاسل التي أحاطت بالرقاب، فقد قيده هو وأمثاله من الصعاليك والفتاك ممن كانوا يتصفون بالطيش، فصاروا كأنهم شيوخ محنكون لا يستثارون ولا يستفزون بل يترثون، ويتأنون، ويتحلون بالصبر الجميل<sup>(٥٨)</sup>؛ فيقول:

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ      ولكن أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ  
وَعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ      وسوى الْعَدْلِ شَيْئًا فَاسْتَرَّاحَ الْعَوَائِلُ<sup>(٥٩)</sup>

ومن الصعاليك أيضًا الذين تغيرت القيم عندهم جريبة بن الأشيم الذي كان في الجاهلية أحد شياطين الإنس، وكان من أعتى فتاك بني أسد، وكان يغير على القوافل، فلما هداه الله للإسلام حسنت سيرته واستقام وعدل عن الإغارة والنهب، وأعلن في شعره أنه آمن وابتعد عن كل شر؛ فيقول:

بُدِّلَتْ دِينًا بَعْدَ دِينٍ قَدُمُ      كُنْتُ مِنَ الدِّينِ كَأَنِّي حُمُ  
يَا قِيمَ الدِّينِ أَقِمْنَا نَسْتَقِيمَ      فَإِنْ أَصَادَفَ مَأْتَمًا فَلَمْ أُنَمُ<sup>(٦٠)</sup>

ومثله الصعلوك يزيد بن الصقيل العُقيلي والذي كان لصًا متمكنًا مشهورًا في بادية الحجاز يسرق الشاة والبعير ويتلصص وينهب ويطلب فيهرب وظل على هذا الحال حتى مربه جيش كان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قد وجهه إلى الشام فراجع نفسه وأخلص التوبة لما أبصر الجيش وسار مع الجيش وقتل في سبيل الله، ومن شعره الذي كتبه قبل استشهاده قوله الذي أعلن فيه أنه تاب إلى الله واستغفر لنفسه كذلك:

أَلَا قُلْ لِرَبَابِ المَخَائِضِ أَهْمِلُوا      فَقَدْ تَابَ مِمَّا تَعْلَمُونَ يَزِيدُ  
وَإِنَّ إِمْرًا يَنْجُو مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا      تَزَوَّدَ مِنْ أَعْمَالِهَا لَسَعِيدُ  
إِذَا مَا المَنَايَا أَخْطَأَتْكَ وَصَادَفَتْ      حَمِيمَكَ فَاعْلَمْ أَنَّ سَتَعُودُ<sup>(٦١)</sup>

<sup>(٥٨)</sup> المصدر السابق، الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، ص ١٨، ١٩.

<sup>(٥٩)</sup> ديوان الهذليين، مصدر سابق، ١٥١/٢.

<sup>(٦٠)</sup> شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١-١٧٤١٧هـ-١٩٩٦م، ٢١٠/٤.

<sup>(٦١)</sup> الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: محمد بن أبي بكر التلمساني، تحقيق وتعليق: محمد التونجي، دار الرفاعي، الرياض، ط ١-٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ٣٩٨/١.

ومن هؤلاء التائبين الذين تخلو عن القتل والسلب الصعلوك الأحيمر السعدي الذي كان سيفه يهدد التجار وقوافلهم، فقد أعلن توبته وترك أعمال القتل والسلب التي كانت فخراً له في الجاهلية بعد أن انخرط في الدين الجديد وطابت نفسه، فيقول:

يعيرني الإعدام والبدو معرض      وسيفي بأموال التجار زعيم<sup>(٦٢)</sup>

وكان يستبشر إذا ما سمع نهيق حمار زعيم لأنه يؤذن باقتراب التجار حيث يقول:

نَهَقَ الْحِمَارُ فَقُلْتُ أَيَمَّنْ طَائِرٍ      إِنَّ الْحِمَارَ مِنَ التَّجَارِ قَرِيبٌ<sup>(٦٣)</sup>

ثم تأثر بالدين الجديد وتاب فلم يُخفِ حنينه إلى عادة من العادات الذميمة التي سيطرت حياته، ولكنه مع هذا الحنين مُصرّاً على التوبة بل وينصح الصعاليك أن يسلكوا طريق التوبة<sup>(٦٤)</sup>؛ فيقول:

أشكو إلى الله صبري عن رواحلهم      وما ألقى إذا مروا من الحزن

قل للصوص بني اللخناء يحسبوا      بزّ العراق وينسوا طرفة اليمن

فربّ ثوب كريم كنت آخذهُ      من التّجار بلا نقد ولا ثمن

ومن التائبين أيضاً من الصعاليك عبدة بن الطبيب الذي أسلم وتحول من فاتكٍ وقاطعٍ للطرق إلى مجاهدٍ في سبيل الله مع الجيوش الإسلامية، فتحوّلت قيمه المقلوبة إلى قيمٍ وأفعالٍ سامية؛ فقد شهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣هـ، وله في ذلك آثار مشهورة، وكان في جيش النعمان بن مقرن الذي حارب الفرس بالمدائن<sup>(٦٥)</sup>.

ثانياً: أثر القيم المقلوبة على الصعاليك في العصر الأموي وصدور الإسلام:

من الصعاليك المخضرمين من أعرض عن أعمال الغارات والنهب مثل أبي خراش وجريبة بن الأشيم ويزيد بن الصقيل كما سبق وذكرنا، أما بعد ذلك فنحن نجد السيرة الخاصة ببعض الصعاليك الذين عاشوا في صدر الإسلام مذكوراً فيها عدم استقامة

(٦٢) المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، ت: ف. كرنكو، دار الجبل، بيروت، ط ١- ١٤١١هـ- ١٩٩١م، ص ٤٣.

(٦٣) الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري، ٧٧٥/٢.

(٦٤) المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، مصدر سابق، ص ٤٣، وانظر: المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، أحمد سليمان مهنا، إشراف أ. د. نبيل خالد أبو علي، رسالة ماجستير بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية- غزة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م، ص ١٠، ١١.

(٦٥) المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، المرجع السابق، ص ١١.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

سلوكهم، فلم يتعمق الإسلام نفوسهم، ولم يتغلغل في قلوبهم. وقد قسّمهم الدكتور حسن عطوان إلى فريقين؛ وهما: فريقٌ جنح عن النهب والإغارة، ولكن ظلّ فيهم شرٌّ. ويمثل هذا الفريق أبو الطمحان القيني وفضالة بن شريك، أما أبو الطمحان، فمعروفٌ أنه كان صعلوكًا يسرق الإبل في الجاهلية، وكانت قبيلته قد خلعتَه وطردته لسوء أخلاقه، فكان من طائفة الصعاليك الخلاء، وقد استجار بأكثر من قومٍ ولكنه كان لا يستقر به المقام في قومٍ؛ فكان كلما حلّ في قومٍ ارتكب فيهم ما يحملهم على التحلل من إجارتهم له والتكفل لحمايته، فإذا هو يستخف بالحياة ويستهيئ بالموت ويقذف نفسه في المهالك، حتى عاتبته زوجته في غاراته ولامته على ركوب الأهوال والمخاطر<sup>(٦٦)</sup>، حتى نظمَ أبياتاً يصيح فيها في وجه زوجته قائلاً:

لَو كُنْتُ فِي رِيْمَانَ تَحْرُسُ بَابَهُ      أُرَاجِيلُ أَحْبُوشٌ وَأَعْضَفُ أَلْفُ  
إِذْنٌ لَأَتَتْنِي حَيْثُ كُنْتُ مَنِيَّتِي      يَخْبُ بِهَا هَادٍ بِأَمْرِي قَائِفُ  
فَمِنْ رَهْبَةٍ آتَى الْمَتَالِفَ سَادِرًا      وَأَيَّةُ أَرْضٍ لَيْسَ فِيهَا مَتَالِفُ

ويظهر لنا أن هذا الصعلوك كفّ عن الإغارة بعد إسلامه، فإن القدماء لم ينبئونا بشيءٍ منها في الإسلام، وإنما أخبرونا بأن كان خبيث الدين في الجاهلية وفي الإسلام، وخبثه في الجاهلية نعرف منه أطرافاً تتعلق بانحرافه الخلقي واحترافه للسرقة، وأما خبثه في الإسلام فيقال: إنه يتصل بضعف عقيدته وفسادها، فقد نقل عنه القدماء بيتين أنشدهما في آخر عمره يتفجع على شبابه ويجزع من شبيهه دون أن يؤمل الخير وحسن العاقبة في الآخرة، فكانهم رأوا في ذلك مظهرًا من مظاهر ضعف عقيدته<sup>(٦٧)</sup>؛ فيقول:

حَنَنْتِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى      كَأَنِّي خَاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدِ  
قَرِيبُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى      وَلَسْتُ مُقِيدًا أَنِّي بِقَيْدِ

(٦٦) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي: حسين عطوان، ص ٢٢، وانظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، مرجع سابق، ص ٣٥، و٣٠٩ و٣١٨.

(٦٧) الحماسة: الوليد بن عُبيد البُحْثري، ت: محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط ١ - ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م، ص ٤٠٠، وانظر: الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، مرجع سابق، ص ٢٢، ٢٣.

كذلك نقلوا عنه بيتين آخرين يبدو أنه هتف بهما في آخر أيامه معلناً فيهما حرصه على التهاك على الملاهي قبل أن يموت؛ فيقول:

أَلَا عَلَّانِي قَبْلَ نَوْحِ النَّوَّاحِ      وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَّاحِ  
وَقَبْلَ غَدِّ يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدِّ      إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَكَسَتْ بُرَائِحُ (٦٨)

ورزي له بيتان آخران يجتر فيهما ذكرياته الماضية، وكيف كان يحترس من المعاطب حتى إذا أمن خطرهما انقض على ما يريد انقضاضاً؛ فيقول:

يَا رَبِّ مَظْلَمَةٌ يَوْمًا لَطِيتُ لَهَا      تَمَضِي عَلَيَّ إِذَا مَا غَابَ نُصَارِي  
حَتَّى إِذَا مَا إِنَجَلَتْ عَنِّي غِيَابَتُهَا      وَثَبْتُ فِيهَا وَثُوبَ الْمَخْدِرِ الضَّارِي (٦٩)

ومن الصعاليك الذين بقيت القيم المقلوبة عندهم وبقي عندهم من رواسب الصعلكة في الجاهلية الشاعر فضالة بن شريك الذي وصفه الرواة بأنه كان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرمًا أدرك الجاهلية والإسلام، وقد اختفت أشعاره في الجاهلية (٧٠)، ويرجع الدكتور يوسف خليف أن هذه الظاهرة ترجع إلى مكانة ابنه فاتك بن فضالة بن شريك، فقد كان سيداً جواداً وممدحاً، كما حظي بمركزٍ ممتازٍ عند بني أمية لأنه ظاهرهم على مصعب بن الزبير بالعراق. ولكن أشعاره الإسلامية التي وصلت إلينا تُظهر أنه كان سيء الخلق متسرّعاً إلى الشر، ولا يظهر من أشعاره الإسلامية أنه كان متسماً في الغزو والنهب وإنما ظهر عليه هجاء المقزع، فقد وزَّعَ هجاءه على غير واحدٍ، دون مراعاةٍ للحياة الجديدة التي كُرهَ فيها الهجاء ووُجِدَ فيها العفاف والنبل، وكان الخلفاء فيها يnehون ما يثير في النفوس العداوات، ومن ذلك الهجاء، فقد مرَّ بعاصم بن عمر بن الخطاب، وهو مقيم بإحدى بوادي المدينة فنزل به هو وأصحاب به، وعرفوه مكانهم، فلم يقرهم شيئاً، ولا بعث إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ من الهبات، فارتحل عنه مغيضاً مخنقاً، والتفت إلى مولى

(٦٨) الحماسة: أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، برواية أبي منصور الجواليقي، شرح وتعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ - ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م، ص ٢٣٩.

(٦٩) غرر الفوائد ودرر القلائد، المعروف بأمالى المرتضى: الشريف المرتضى العلوي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط ١ - ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م، ص ٨٦، ٢٦٠/١.

(٧٠) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، حسين عطوان، ص ٢٤.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

لعاصم، فقال له: قل له: "أما والله لأطوفنك طوقاً لا يبلى"<sup>(٧١)</sup>، وأخذ يهجو هجاءً فاحشاً منذ قوله:

ألا أيها الباغي القرى لست واجداً      قراك إذا ما بت في دار عاصم  
ذا جنته تبغي القرى بات نائماً      بطينا وأمسى ضيفه غير نائم  
فدع عاصماً أف لأفعال عاصم      إذا حصل الأقوام أهل المكارم  
فتى من قريش لا وجود بنائل      ويحسب أن البخل ضربة لازم

وهذا الهجاء هو امتدادٌ للقيم والعادات الجاهلية، وفقاً لمذهب الصعلكة الذي آمن به، وأوقف حياته من أجله<sup>(٧٢)</sup>. وقد هجا فضالة بن شريك أيضاً رجلاً كوفياً تزوج امرأة وسأل في مهرها، كما هجا معه أهلها الذين ارتضوه زوجاً لها مع أنه فقير ضعيف ذليل، لا يقدر على إعالتها ولا يفيد في الشدائد، يقول:

أنكحتم لا فتى دنيا يعاش به      ولا شجاعاً إذا انشقت عصا الدين<sup>(٧٣)</sup>

فهو يرغب في فرض وجهة نظره على الناس ويتعرض لهم مبتغياً أن يسيّرهم كما يحب، وأن يخضعهم لما يؤمن به من المثل التي يخضع نفسه لها وفقاً لمذهب الصعلكة؛ فهو يريدهم أن يختاروا لابنتهم رجلاً تتمثل فيه صفات الصعلوك من حيث الفتك الذي يعده هو بطولة، والابتعاد عن سؤال الناس، وكسب الرزق بالقوة.

ويتضح لنا أن أبا الطحان القيني وفضالة بن شريك يمثلان الصعاليك الذين أقصروا بعد إسلامهم من التصعلك القائم على الإغارة والغصب، ولكنهما ظلا في اعوجاج وعدم استقامة، فقد ظل أبو الطحان رقيق الدين، جازعاً من الموت، عاكفاً على الم لذات، مردداً لذكريات الشباب، ذكريات تربصه وغزوه وسلبه، فهو يشناق لهذه الأيام التي انقلبت فيها القيم، أما فضالة بن شريك فظل في نفسه شرّاً كثير، وظلت آثار الصعلكة مسيطرة عليه

(٧١) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، ص ٢٤، وانظر: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: جمال الدين ابن منظور، ت: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ط ١- ١٤٠٢ هـ ١٩٨٤ م، ٢٧٠/٢٠.

(٧٢) الصعاليك في العصر الأموي، محمد رضا مروءة، ص ٢٥.

(٧٣) جمل من أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاذري، ت: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط ١- ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م، ٣٤٥/٦.

#### د/ فاتن عبداللطيف على العامر

موجهة له، وظل متقلبا يهجو ويمدح وإن كان الهجاء قد غلب عليه، وهو هجاء أفحش فيه، وصبه على من أساء أو أحسن إليه<sup>(٧٤)</sup>.

أما الفريق الثاني من الصعاليك المخضرمين الذين لم يتأثروا بالإسلام ومبادئه وقيمه أي تأثر؛ فقد استمروا في السرقة والنهب والغزو والإغارة وكانوا يعلنون هذه الأفعال بحاجتهم وفقدهم وعجزهم عن إعالة آبائهم، وهذا دليل على استمرار القيم المقلوبة عندهم، فيعدون السلب والنهب وسيلة لسد الحاجة والتخلص من الفقر<sup>(٧٥)</sup>، ومن هؤلاء الصعاليك فرعان بن الأعراف التميمي، الذي كان يغير على الناس وما يملكون من إبل في الجاهلية بعد أن أسلم؛ فيقول<sup>(٧٦)</sup>:

يَقُولُ رِجَالٌ إِنْ فُرْعَانَ فَاجِرٌ      وَلِلَّهِ أَعْطَانِي بَنِي وَمَالِيَا  
فَأَرْبَعَةٌ مِثْلَ الصُّقُورِ، وَأَرْبَعًا      مَرَاضِيْعَ، قَدْ وَفَّيْنَا شُعْنًا ثَمَانِيَا  
إِذَا اصْطَنَعُوا لَا يَخْبُؤُونَ لِعَائِبِ      طَعَامًا، وَلَا يَرْعَوْنَ مَنْ كَانَ نَائِيَا

ومن الصعاليك المخضرمين الذين استمروا في التربص بالناس وقطع الطرق عليهم والتمادي في قيمه المقلوبة حيث كان ينقض على الناس ويسلب أموالهم، الصعلوك شبيب بن كريب الطائي؛ فقد كان يصيب الطريق في خلافة علي بن أبي طالب، ولما انتهى أمره إليه وعلم أنه يقطع الطرق على مشارف الكوفة، بعث إليه أحمر بن شميظ العجلي، وأخاه في فوارس<sup>(٧٧)</sup>؛ فيقول<sup>(٧٨)</sup>:

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ ابْنِي شَمِيظِ      بَسْكَةَ طِيِيٍّ وَالْبَابِ دُونِي  
تَجَلَّتْ الْعَصَا وَعَلِمْتَ أَنِّي      رَهِيْنٌ مَخِيْسٍ إِنْ أَدْرَكُونِي  
وَلَوْ أَنْظَرْتَهُمْ شَيْئًا قَلِيْلًا      لَسَاقُونِي أَلَى شَيْخِ بَطِيْنِ

<sup>(٧٤)</sup> الصعاليك في العصر الأموي، محمد رضا مروة، ص ٢٦.

<sup>(٧٥)</sup> المصدر السابق، الصعاليك في العصر الأموي، ص ٢٦.

<sup>(٧٦)</sup> الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص ٦٤٤.

<sup>(٧٧)</sup> الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، ص ٢٧.

<sup>(٧٨)</sup> البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢، ١٩٦١.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

فهو يصف كيف أنه أبصر متعقبه على أبواب الكوفة، فحينها ركب فرسه وفرَّ ناجياً من العقاب الذي كان سيلقاه في سجن المخيَّس (٧٩).

لكن الدراسات المتصلة بالقيم المقلوبة وهذا الفريق من الشعراء الصعاليك أخباره قليلة، لكن لوحظ اشتراكهم في الحياة السياسية وانحيازهم لفريق ضد فريق، ولوحظ أيضاً ضعف الحركة الخاصة بالصعلكة ضعفاً شديداً في عصر صدر الإسلام لأن الإسلام أزال الأسباب التي تخلق الصعاليك، وسوّى بين الناس وأعطى كل ذي حق حقه، وأمام ما صنعه الإسلام وما تغير في الحكم من سمو بذرة حركة الصعاليك، ولم يبق منهم سوى أشخاص معدودين، لم يتأثروا بالإسلام، وبقيت الروح الجاهلية مسيطرة على تحركهم حتى في آخر لحظة من لحظات حياتهم (٨٠).

(٧٩) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، ص ٢٨.  
(٨٠) المصدر السابق، الصعاليك في العصر الأموي، ص ٢٧، ٢٨.

## المبحث الرابع

### القيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر العباسي

#### تمهيد:

كان لظهور الصعاليك في العصر العباسي عدة أسباب منها الاختلال الاقتصادي في العصر العباسي وله عدة مظاهر منها: العنف في جباية الخراج، وزيادة الخراج، وارتشاء بعض العمل واتصافهم بالخيانة، وإنفاق الأموال في سبيل لا تفيد الأمة كتجنيد الجيوش للقضاء على المنتشدين الثائرين<sup>(٨١)</sup>.

ومن الأسباب أيضاً التناقض الاجتماعي، وكثرة الفتن والاضطرابات في الدولة العباسية<sup>(٨٢)</sup>، وقد أدت هذه الأسباب لانتشار الفقر في المجتمع العباسي انتشاراً عمم معظم أبناء الأمة من العرب وغيرهم، وأحدث فجوة بين الأغنياء والفقراء، مما حمل بعضهم على التمرد والسعي لإصلاح أوضاعهم البائسة بشتى الطرق، فمنهم من عمد إلى الشكوى والنقد والهجاء لينتزع الدراهم القليلة من بعض المستويات الميسورة كالوزراء والأغنياء والشعراء الميسورين، ومنهم من لجأ لاستخلاص حقه بالسطو على التجار، والإغارة على الدور، ونهب الأغنياء ممن يتسمون بالبخل، ومنهم من أثر الراحة والسلامة على النقد والتعرض للمكاره ووجد في التطفل وسيلة لإشباع جوعه عن طريق مشاركة الأغنياء في مآذبيهم<sup>(٨٣)</sup>.

#### أولاً: تطور القيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر العباسي:

بسبب الظروف التاريخية في الدولة العباسية واختلاف التضاريس الاجتماعية والاقتصادية والسياسية اختلف الصعاليك في العصر العباسي عن الصعاليك في العصر الجاهلي والأموي، فقد تفتت القبائل واختلطت بالأعاجم فاختلفت الكثير من التقاليد الموروثة، مما أدى بدوره لاختفاء الصعاليك الخلعاء والشذاذ والأغربة السود، وبحكم تحضر البيئة واستقرار العرب وغير العرب في المدن، مما تسبب في اتجاه الصعاليك

(٨١) الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، د/ حسين عطوان، دار الجيل- بيروت، ص ١٢.

(٨٢) المصدر السابق، ص ٢٦، ٣٩.

(٨٣) الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص ٥١.



### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

لوسائل أخرى غير الغزو والنهب كالهجاء والنقد أو الحيل والخدع في حياتهم<sup>(٨٤)</sup>، ويرجع هذا الاختلاف لثلاثة أسباب كما ذكرها الدكتور حسين عطوان وهي:

١- انحلال الرابطة القبلية.

٢- تغير البيئة الجغرافية.

٣- استقرار الصعاليك وارتباطهم بأزواجهم وأولادهم، وبذلك انحلت الروابط القبلية الدموية، فاختفى الصعاليك الخلعاء والسود، وبسبب تغير البيئة الجغرافية وانتقال الصعاليك من الصحراء إلى بيئة متحضرة مستقرة نشأ أكثر الصعاليك العباسيين ومارسوا أعمالهم فيها.

وبذلك اضطروا للبحث عن وسائل تلائم البيئة الجديدة، فلم يعد الغزو والسلب ملائمًا للمجتمع الجديد<sup>(٨٥)</sup>، وبسبب ارتباط الصعاليك بأزواجهم وأبنائهم نتيجةً لاستقرارهم اختلفوا عن الصعاليك الجاهليين الذين كانوا فرساناً لا يهابون الموت، فكّر الصعاليك العباسيون حياة التثرد والمخاطرة والمطاردة والبعد عن الأهل، وهذه الأسباب أدت لتطور حركة الصعلكة في المجتمع العباسي تطوراً اختلفت معه طبقاتهم وتغيرت وسائلهم التي كانوا يصلون بها لأهدافهم، فقد قسّم الدكتور حسين عطوان الصعاليك في العصر العباسي لثلاث طبقات وهي: طبقة الفقراء المعدمين البائسين، وطبقة اللصوص الثائرين، وطبقة العيارين والفتيان والطفيليين. وقد اختلفت وسائلهم من طبقةٍ لأخرى، فالصعاليك الفقراء تغيرت القيم المقلوبة عندهم من السلب والنهب والغزو والأعمال التي كانت توصف بالشجاعة للنقد اللاذع والهجاء المقذع والتشهير والتعريض لكي يكرهوا الوزراء والعمال والتجار والشعراء الميسورين على إجراء الصلوات القليلة عليهم حتى يكفلوا لأنفسهم وأولادهم الحياة.

ومنهم أبو فرعون الشاسي، وأبو الشمقمق، وأبو الينبعي، والحمدوني بأنهم هجاؤون، كثيرو الفحش، خبيثو الألسنة، يخوضون في أعراض الناس ويهجونهم شر

<sup>(٨٤)</sup> رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة دكتوراه للباحث صغر بن غريب عبد الله العنزي تحت إشراف: أ. د. صالح بن سعيد الزهراني ١٤٣١/١٤٣٢هـ، المملكة العربية السعودية- جامعة أم القرى، ص ٨٥.

<sup>(٨٥)</sup> الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص ٦٥، ٦٦.

د/ فاتن عبداللطيف على العامر

الهجاء وأرذله وأقبحه عامدين إليه عمدًا، ويعتبرون هذه الأفعال حقًا لهم لجلب المال<sup>(٨٦)</sup>، ومن ذلك قول أبي فرعون السَّاسي يهجو تاجرًا بالبخل والتقتير، ويعرض به أشد وأوبخ التعريض؛ فيقول<sup>(٨٧)</sup>:

ولا يريم الدهرَ من مكانه      أشجعُ من ليثٍ على دكانه

لا يطمع السائلُ في رُغفانه      أعطاني الفلَسَ على هوانه

وقد وصفوا أبا الشمقمق بأنه كان أسلطهم لسانًا وأقبحهم هجاءً، حتى كان الناس يهابونه على اختلاف أقدارهم ومنازلهم، خوفًا من الفحش الذي يتلفظ به وويلٌ لمن كان يسأله شيئًا من الدراهم؛ فقد كان يأخذ في هجائه بل في تقطيعه، وقيل: إنه قصد عمر بن مساور، وكان حينها يتقلد بعض أعمال منطقة الأهواز فمدحه فلم يحتف به، ولا وصله بصلة فقال يهجو محقرًا له ومشهرًا به<sup>(٨٨)</sup>:

أنا بالأهواز جارٌ لعمر      لعظيم زعموا ضخم الخطر

لا يرى منه علينا أثرٌ      لا يكون الجود إلا بأثر

إن تك ورقتك عنا عجزت      يا أبا حفص فجد لي بحجر

يكسر الجوزَ به صبياننا      وإذا ما حضر اللوز كُسر

فقد تغيرت عندهم بعض الأفعال مثل السرقة والنهب والإغارة وغير ذلك من الأفعال الأخرى كقطع الطرق والكثير من الأعمال التي كانوا يعدونها شجاعةً وحقًا من حقوقهم إلى الهجاء الفاحش الذي يعتبرونه عقابًا لمن لم يكرمهم بالعطايا والمدح الذي يهدف لجلب المال ولا يعد مدحًا مخلصًا، وكذلك تغيرت أعمال السرقة فكان اللصوص منهم يسرقون وينهبون لكن وسيلتهم تغيرت من الإغارة واستخدام السلاح للاعتماد على الحيل والخدع التي يتمكنون معها من التمويه على من يريدون السطو عليه وسرقتة، كما

<sup>(٨٦)</sup> المصدر السابق، ص ٦٧.

<sup>(٨٧)</sup> الورقة: محمد بن داود (ابن الجراح)، ت: عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج، دار المعارف- مصر، ط ٢-

١٩٨٦م، ص ٥٧.

<sup>(٨٨)</sup> الوزراء والكتاب: محمد بن عبدوس، ت: مصطفى السقا وجماعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط ١-١٩٣٨م، ص ٢٣٢.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

وطنوا أنفسهم على تحمل الضرب والصبر على أهوال الحبس وكتمان الأسرار لكيلا يعرف رفاقهم، ولا تكشف عصاباتهم.

وكثر في الصعاليك العباسيين القسم الخاص بالصعاليك الطفيليين وهؤلاء كانوا يسدون جوعهم بالدخول للأعراس والولائم للاستمتاع بطيبات الطعام وما كان غيرهم يستمتع به<sup>(٨٩)</sup>.

### ثانياً: استمرار القيم المقلوبة عند الصعاليك العباسيين:

لا يعني ما تقدم ذكره عن تطور الصعاليك في العصر العباسي واختلاف أنشطتهم واختلاف القيم المقلوبة عندهم أن القيم المقلوبة التي وُجِدَت عند صعاليك الجاهلية وصعاليك العصر الأموي لم تعد موجودة، وأن أعمال الغزو والسلب والنهب وشدة الاستيلاء والإغارة التي كانوا يسمونها شجاعةً وبعدها من البسالة والصبر وشدة الاحتمال لم تعد موجودة، بل معناه أن الصورة القديمة خفت وكادت أن تتلاشى إلا بعض المظاهر منها التي تلقانا في الحين بعد الحين، وهي مظاهر كان الشعراء الذين يمثلونها من الصعاليك المخضرمين الذين عاشوا في العصر الأموي وامتد العمر بهم حتى عاشوا في العصر العباسي، وإما من العرب ومواليهم الذين تمسكوا بإقامتهم في البوادي، وإما من العرب الذين انتقلوا إلى الحواضر، لكن حب المخاطرة والميل إلى القتال لم يزل يترك من قلوبهم ويوجه سلوكهم.

وقد قسمهم الدكتور حسين عطوان إلى ضربين؛ هما:

أولاً: ضرب استمر في الإغارة والغزو.

ثانياً: ضرب ارتفع بعض الشيء عن التعرض للناس والاعتداء عليهم وانضم إلى بعض العمال الذين كان يرى فيهم صورةً للبطولة، والذي سحرته همهم العالية وانتصاراتهم الباهرة فعاش يغنيهم ويتغنى معهم ببطولاتهم ويشارك معهم في بعض المعارك التي كانوا يخوضونها ضد من يعبثون بأعمالهم أو الخارجين عليهم<sup>(٩٠)</sup>.

<sup>(٨٩)</sup> الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص ٦٩.  
<sup>(٩٠)</sup> الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص ٧٠.

ومن هؤلاء الصعاليك الذين استمروا في قطع الطرق على الناس، الشاعر الفارس جعفر بن عُببة الحارثي، وكان فارساً مذكوراً في قومه وعاش في نجد، وكان معروفاً بسوء السلوك، فكان يشرب ويلهو ولا يرى في ذلك عيباً يشينه ما دام يتصف بسداد الرأي وصحة العزيمة والصبر على الشدائد والأهوال، أما العيب الحقيقي عنده فهو دناءة الأصل وشحة النفس وضعف الإرادة، فله وجهة نظر في القيم تختلف عن المتعارف عليه، وقد شرب يوماً حتى سكرَ فحبسه السلطان<sup>(٩١)</sup>، فأنشد أبياتاً يقول فيها<sup>(٩٢)</sup>:

لَقَدْ زَعَمُوا أَنِي سَكْرَتُ وَرُبَّمَا      يَكُونُ الْفَتَى سَكَرَانَ وَهُوَ حَلِيمٌ  
لَعَمْرُكَ مَا بِالسُّكْرِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى      وَلَكِنَّ عَارًا أَنْ يُقَالَ لَنْيَمٍ  
وَإِنْ فَتَى دَامَتْ مَوَاتِيْقُ عَهْدِهِ      عَلَى دُونَ مَا لِاقْبِتُهُ لَكْرِيمٍ

وكان ينحو في حياته نحو الصعاليك الجاهليين من الإغارة والسلب والنهب، وكانت له عصابة تشاركه في غزواته، ورؤي له أبيات تصور مغامرته التي أغار فيها على بني عقيل مع رفيقين له، وقد أحس العقيليون بهم، وخرجوا للقائهم وتربصوا بهم، ووضعوا عليهم الأرصاد في المضايق، فكانوا كلما أفلتوا من عصابة لقيتهم أخرى حتى انتهوا إلى بلاد نهد، فرجع عنهم العقيليون، وقد قتل منهم كثيرون، وفي ذلك يقول مصوراً إغارته الفاشلة وتنبع العقيليين له ولرفيقيه، ونجاتهم منهم وفتكهم بهم<sup>(٩٣)</sup>:

<sup>(٩١)</sup> المصدر السابق، الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول، ص ٧٠.  
<sup>(٩٢)</sup> الأغاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد الأموي الأصفهاني (٣٥٦هـ)، دار الكتب المصرية، ص ١٣: ٤٥.  
<sup>(٩٣)</sup> الأغاني، ص ١٣: ٤٨.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

وسائلةٌ عنا بغيب وسائل  
عشية قرى سحبل إذ تعطففت  
ففرج عنا الله مرحى عدونا  
إذا ما قرى هام الرؤوس اعترامها  
إذا ما رصدنا مرصدا فرجت لنا  
ولما أبوا إلا المضيّ وقد رأوا  
حلفتُ يميناً برّةً لم أردُ بها  
ليختضمّنّ الهندواني منهم  
وقالوا لنا ثنتان لا بد منهما  
فقلنا لهم تلكم إذا بعد كره  
وقتلى نفوس في الحياة زهيدة  
واستمر حاكيا كذلك إلى أن قال:  
نراجعهم في قالةٍ بدأوا بها  
لهم صدر سفي يوم بطحاء سحبل  
كما راجع الخصم البذي المناقل (٩٤)  
وكي منه ما ضمت عليه الأنامل (٩٥)

وهؤلاء الصعاليك اللصوص في العصر العباسي كانت لهم تشكيلات وحركات على درجة عالية من التنظيم والدقة، وكان هذا التنظيم يتخذ شكل العصابات التي تنتشر في المدن والتي كان يقوم أفراد كل عصابة منها بعمل بعينه، وكلن لكل فردٍ منهم دورٌ يهض به، ولمسوا سوء الأحوال الاجتماعية لوعيمهم الشديد بالنظام السياسي والاقتصادي لمواجهة

(٩٤) المصدق: الجد والصلابة، ورجل ذو مصدق: أي صادق الحملة يقال ذلك الشجاع.

(٩٥) قرى وسحبل: موضعان في ديار بني الحارث بن كعب. تعطف: كر. السرايا: جمع سرية، وهي الطائفة من الجيش. الياصل: الشجاع الشديد.

(٩٦) البيض: السيوف: جلا السيف: شحذه، والصياقل: جمع صيقل: وهو شحاذ السيوف وجلأوها.

(٩٧) الناكل: الجبان.

(٩٨) التسميع: التشهير والتشنيع.

(٩٩) اختضم: قطع.

(١٠٠) جعفر بن علبة الحارثي، أخباره وما تبقى من شعره: عليّ ارشيد المحاسنة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ١٣ عدد ٢، ص ٢٧٦.

(١٠١) البذي: القبيح المفحش. المناقل: الذي يتحدث مع غير ويراجعه.

د/ فاتن عبداللطيف على العامر

عوزهم الذي يهدد بقاءهم وكان الزعماء الخُذّاق الذين يقودون تلك العصابات يخططون لهم ويدربونهم على احتراف هذه المهنة وفن تعاطيها<sup>(١٠٢)</sup>، وكان لهم مساعدون يراقبون الأماكن التي يريدون السطو عليها. ومن كبار الزعماء في هذا المجال، الزعيم عثمان الخياط الذي يخطب فيهم من قبيل التوجيه والإرشاد ويضع لهم التعليمات التي تساعدتهم في التلصص باحتراف، وكان يحسّن لهم مهنة التلصص، فكان يقول: "لم تنزل الأمم يسبي بعضها بعضاً ويسمون ذلك غزواً وما يأخذونه غنيمةً، وذلك من أطيّب الكسب، وأنتم في أخذ مال الغدر والفجرة أعذر فسموا أنفسكم غزاة كما سمي الخوارج أنفسهم شراءاً"<sup>(١٠٣)</sup>. فانظر كيف يبرر لما يفعل من تلصص ويضرب المثل بمن كانوا يأخذون أموال غيرهم بسبب السبي، وهم يأخذون من الفجرة، فهم أولى وهم أصحاب عذر. وانظر إلى انقلاب القيم في ذلك؛ إذ يدعوهم لتسمية أنفسهم غزاة، فيعد التلصص والسرقة وعمليات السرقة كالغزوات واللمصوص الذين يقومون بهذه العمليات غزاة.

(١٠٢) رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص ٨٧.  
(١٠٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط ١، ١٩٩٩، ٢/٢٠٩.

## القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

### المبحث الخامس

#### الأسلحة التي ساعدت الصعاليك في غاراتهم

#### وأسهمت في انقلاب قيمهم

#### تمهيد:

كانت الحياة في شبه الجزيرة العربية ملزمة للناس بأن يكونوا على أهبة الاستعداد لأي مغامرة قتالية فكان حمل السلاح شيمة العرب في شبه الجزيرة العربية، وكان السلاح المعنوي كالجرأة وقوة النفس والشجاعة وغير ذلك، وإذا كان حمل السلاح ملازمًا للعربي في السلم أو الحرب، فحريّ بالصعلوك الذي يعيش الحياة معتمدًا فيها على المغامرة والغارات والسطو وقطع الطرق أن يتسلح بالأسلحة التي تجعله يقوم بدوره ويعطيه الدليل على أن ما يقوم به إنما هو حق له -من وجهة نظره- ومن تلك الأسلحة:

#### ١- السيف:

وهو السلاح الأول الذي كان يحملة كل عربي ولا يتخلى عنه، فكان السيف هو الأساس، أما غيره من الأسلحة فتعد إضافية بالنسبة إليه<sup>(١٠٤)</sup>، أما السيف فهو ملازم للفرد العربي في الحرب والسلم، وهو أول ما يستعمله العربي في الحرب، وقد تغنى كثير من الشعراء عن السيف وأخص منهم الصعاليك، فلا يكاد شاعرٌ منهم لم يحدث عن السيف بصورٍ مختلفة؛ فهذا الشنفرى يقول<sup>(١٠٥)</sup>:

إِذَا فَرَعُوا طَارَتِ بِأَبْيَضَ صَارِمٍ      وَرَامَتْ بِمَا فِي جَفْرِهَا تُمْ سَلَّتِ

ويتحدث عروة بن الورد عن بياض سيفه الذي لا يملك غيره وغير درعه ومحفره؛ فيقول<sup>(١٠٦)</sup>:

وَمَالِي مَالٌ غَيْرُ دِرْعٍ وَمَغْفَرٍ      وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلُ

وهذا عمرو بن براق لا يرضى لسيفه الأبيض مكاناً حين يضرب إلا الجماجم<sup>(١٠٧)</sup>؛ فيقول<sup>(١٠٨)</sup>:

<sup>(١٠٤)</sup> شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، دكتور عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص ٢١٦.

<sup>(١٠٥)</sup> المفضليات، الضبي، مطبعة دار المعارف، ص ١١١.

<sup>(١٠٦)</sup> العمدة لابن رشيق، مطبعة السعادة، ٣٥/٢.

<sup>(١٠٧)</sup> شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص ٢١٧.

<sup>(١٠٨)</sup> الأمالي، أبو علي القالي، مطبعة السعادة، ١٩٩/٢.

فلا صلح حتى تقدع الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الخفاف الجماجم

وأما قيس بن الحدادية، فيجعل سيوفهم البيض هي كل ما يقدمونه من مهرٍ ليستحلوا بها نساء أعدائهم، وذلك حين يصبحن أسيرات بهذه السيوف؛ فيقول (١٠٩):

لَقَدْ عَلِمْتَ أَفْنَاءُ بَكْرِ بْنِ عَامِرٍ بِأَنَا نَدْوُ الْكَاشِحِ الْمُتَزَحِّحَا

وَأَنَا بِلَا مَهْرٍ سِوَى الْبَيْضِ وَالْقَنَا نُصِيبُ بِأَفْنَاءِ الْقَبَائِلِ مَنَكْحَا

٢- السهم:

القوس والسهم سلاحان ملازمان للصلعوك، لأن الصعاليك يعتمدون على طريقة التردد والهجوم والدفاع الفردي يحتاج إلى سلاح بعيد المدى كالسهم، بحيث لا يضطره إلى الاصطدام المباشر مع أعدائه أو ضحاياه.

ونجد شعرهم يتحدث كثيرًا عن السهم (١١٠)، ويصور أهميته في حياتهم وتحقيق ما يهدفون إليه من أغراض، ويذكر في هذا الأمر ما يقوله صخر البغي عن سهامه ووصفه لها بأنها ترسة الحصين الذي يرد عنه متوعديه؛ فيقول (١١١):

إِنِّي سَيْهَى عَنِّي وَعَيْدَهُمْ بَيْضٌ رِهَابٌ وَمُجْنَأٌ أُجْدُ

وهذا الشنفرى يتحدث عن أهمية السهام للصلعوك؛ فهي الحاجز المنيع بينه وبين أعدائه، فيقول إنه يحمل منها دائمًا ما يستطيع حمله، ويصف صديقه تأبط شرًا بأنه يحمل دائمًا جعبة فيها ثلاثون سهمًا، وهي أسهم مهيأة للإطلاق فور إحساسهم بأول خطر؛ فيقول (١١٢):

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفاً  
وتأتي العدا بارزا نصف ساقها  
إذا فزعوا طارت بأبيض صارم  
إذا آنتت أولى العدى اقشعرت  
تجول كعير العانة المتفلت  
ورامت بما في جفرها ثم سلت

(١٠٩) الأغاني: الأصفهاني، ١٤٤/١٤.

(١١٠) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص ٢٢٢.

(١١١) ديوان الهذليين، السكري، مطبعة دار الكتب المصرية، ٥٩/٢.

(١١٢) ديوان الشنفرى: جمع وتحقيق وشرح دكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت، ط ٢- ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ص ٣٦، وانظر المفضليات، ص ١١١، والسيحف: السهم العريض النسل.



٣- الرمح:

لم يكن حديثهم مستفيضاً عن الرمح لأن الرمح من الأسلحة المستخدمة غالباً في الحروب، ولكن الرمح ليس مقصوراً على الحروب، بل يستعمل في الصيد، والصيد لازم لحياة الصعاليك؛ فهو من الحاجات الضرورية لطعامهم، فنجد عروة بن الورد يصف رمحه بأنه دائم الغلبة والنصر (١١٣)؛ فيقول (١١٤):

وذي أمل يرجو تراثي، وإن ما يصير له منه غداً لقليل  
ومالي مال غير درعٍ ومغفرٍ وأبيض من ماء الحديد صقيل  
وأسمر خطي القناة متقفٍ وأجرد عريان السراة طويل

٤- الخيل:

ارتبطت الخيل بحياة الصعاليك في الصعلكة، فللخيل صفات تميزها عن غيرها من الكثير من الحيوانات والمطايا، وفي ذلك يقول السليك:

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ لَمَّا تَحَمَّلَ صُحْبَتِي أُصْلًا مَحَارُ  
عَلَى قَرْمَاءَ عَالِيَةً شَاوَاهُ كَأَنَّ بِيَاضَ غُرَّتِهِ خِمَارُ  
وَمَا يُدْرِيكَ مَا فَقْرِي إِلَيْهِ إِذَا مَا الْقَوْمُ وَلَّوْا أَوْ أَغَارُوا  
وَيُحْضِرُ فَوْقَ جَهْدِ الْحَضْرِ نَصًّا يَصِيدُكَ قَافِلًا وَالْمُخُ رَارُ (١١٥)

(١١٣) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، ص ٢٢٨.

(١١٤) العمدة، لابن رشيق، وقد نسب الأبيات لعروة بن الورد وأورده خلال التذليل على موضوع التضمين، ٣٥/٢، ومنسوبة لعروة في: موسوعة الشعر العربي، لمطاوع صفدي وإيليا حاوي، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، ط ١- ١٩٤٧، ١٧٩/١.

(١١٥) ديوان الشنفرى ويليهِ ديوانا السليك بن السلعة وعمرو بن براف: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط ١- ١٩٩٦م، ص ٨٩، وقد نسب القصيدة لسليك وعددها أربعة أبيات، والأبيات منسوبة لسليك بن السلعة في: موسوعة الشعر العربي، لمطاوع صفدي وإيليا حاوي، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، ط ١- ١٩٤٧، ١٨٤/١.

### خاتمة

لقد طوّق البحث حول موضوعٍ من أهم المواضيع في الأدب العربي، وهو انقلاب القيم المجتمعية عند شعراء الصعاليك، فهي قيم تختلف عن القيم في المجتمع وعند الشعراء من غير الصعاليك. ويتضح لنا من خلال هذا البحث عدة نتائج؛ منها:

- كان الصعاليك يتخذون السلب والإغارة وسيلةً للبدل والعطاء وإنصاف المحتاجين من أموال الأغنياء البخلاء، فكان كرمهم مما يفتنونه من غزواتهم في أرجاء الصحراء الواسعة.

- الغارة من أهم الأنشطة عند شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي.

- استمرت القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك في الجاهلية حتى عصر صدر الإسلام والعصر الأموي.

- استمرت بعض القيم المقلوبة عند الصعاليك في العصر العباسي واختلف بعضها فتحوّلت من الغزو والسلب للنقد اللاذع والهزاء والتشهير والتعريض.

- اختلفت الأسلحة التي ساعدت الصعاليك؛ فكان منها المادي ومنها المعنوي.

وفي النهاية، فإن هذا الموضوع له أهميته ودوره في توضيح القيم الاجتماعية عند طبقةٍ مهمةٍ من الشعراء في مختلف العصور وهي طبقة الصعاليك. فما كان من توفيق فمن الله، وما كان من تقصيرٍ فمني ومن نفسي.

والله المستعان

أولاً: الدواوين:

- ١- ديوان الشنفرى: جمع وتحقيق وشرح دكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي بيروت، ط٢- ١٧٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- ٢- ديوان تأبط شرا وأخباره، جمع وتحقيق: على ذي الفقار شاکر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١- ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- ٣- ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١- ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.
- ٤- ديوانا عروة والسموأل، دار صادر، بيروت، ط١- ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- ٥- الطرائف الأدبية: صححه وخرجه: عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط١- ١٩٣٧م.
- ٦- المفضليات، الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاکر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦- ١٩٦٤م.
- ٧- الحماسة: الوليد بن عبيد البُحْثري، ت: محمد إبراهيم حور وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط١- ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- ٨- الحماسة: أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، برواية أبي منصور الجواليقي، شرح وتعليق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١- ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- ٩- ديوان الهذليين: الشعراء الهذليون، ت: أحمد الزين، محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١- ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.
- ١٠- ديوان الشنفرى ويليهِ ديوانا السليك بن السلْكة وعمرو بن برفاف: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط١- ١٩٩٦م.

ثانياً: المصادر والمراجع:

- ١- الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، ت: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١- ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
- ٢- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين: الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابني هاشم) تحقيق وتعليق: السيد محمد يوسف، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١- ١٩٦٥م، ٣٠٤/٢.
- ٣- الأغاني، أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد الأموي الأصفهاني دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.
- ٤- الأمالي مع كتابي (ذيل الأمالي) و(النوادر): أبو علي القالي، ت: صلاح فتحي هلال، وسيد عباس الجليبي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط١- ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- ٥- البيان والتبيين: عمر بن بحر الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧- ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
- ٦- التمرد في الشعر الجاهلي: السيد أحمد عمارة، مطابع غباشة، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠هـ.

د/ فاتن عبداللطيف على العامر

- ٧- الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: محمد بن أبي بكر التلمساني، تحقيق وتعليق: محمد التونجي، دار الرفاعي، الرياض، ط١- ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ٨- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي: يوسف خليف، دار المعارف، القاهرة، ط٣- ١٩٧٨م.
- الصعاليك في العصر الجاهلي أخبارهم وأشعارهم، محمد رضا مروّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١- ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- ٩- الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري، ت: أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ط١- ١٩٦٦م.
- ١٠- الشعراء الصعاليك في العصر الأموي، الدكتور حسن عطوان، دار المعارف، القاهرة، مصر- ١٩٧٠م.
- ١١- الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول: حسين عطوان، دار الجيل- بيروت، ط١- ١٩٩٧م.
- ١٢- الصعاليك في العصر الأموي أخبارهم وأشعارهم، إعداد محمد رضا مروّة، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١- ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.
- ١٣- العصر الإسلامي: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٧- ١٩٦٥م.
- ١٤- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني الأزدي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥- ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
- ١٥- المؤلف والمؤتلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم: أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، ت: ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، ط١- ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- ١٦- الورقة: محمد بن داود بن الجراح، ت: عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٢- ١٩٨٦م.
- ١٧- الوزراء والكتاب: محمد بن عبدوس، ت: مصطفى السقا وجماعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ط١- ١٩٣٨م.
- ١٨- جمل من أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى اللبّاڤري، ت: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١- ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ٣٤٥/٦.
- ١٩- رسم الأهداف، أبو ذر عبد القادر بن مصطفى بن عبد الرازق المحمدي، البحث غير منشور إلا بالمكتبة الشاملة المعاصرة.
- ٢٠- شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١- ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- ٢١- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، دكتور عبد الحلیم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١- ١٩٨٧.
- ٢٢- عمرو بن بَرّاقة الهمداني، سيرته وشعره: شريف راغب علاونة، دار المناهج، عمّان، الأردن، ط١- ١٤٢٤هـ ٢٠٠٥م.

### القيم المقلوبة عند شعراء الصعاليك

- ٢٣- غرر الفوائد ودرر القلائد، المعروف بأأمالي المرتضى: الشريف المرتضى العلوي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه)، ط١- ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م.
- ٢٤- لسان العرب: محمد بن مكرم بن ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣- ١٤١٤هـ.
- ٢٥- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، تحقيق عمر الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١- ١٩٩٩.
- ٢٦- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: جمال الدين ابن منظور، ت: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، سوريا، ط١- ١٤٠٢هـ ١٩٨٤م.
- ٢٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١- ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.
- ٢٨- موسوعة الشعر العربي، لمطالع صفدي وإيليا حاوي، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، ط١- ١٩٤٧م.

### ثالثاً: المجالات والدوريات:

- ١- الاتجاهات الفكرية في شعر الصعاليك: عماد خليفة سليمان داوود، وعذراء حسين عودة، مجلة الجامعة العراقية، مجلد ١، عدد ٤١، أغسطس عام ٢٠١٨.
- ٢- الغارة عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية: مراد محمد العمري، وأمل طاهر محمد نصير، مجلة جامعة الملك سعود، كلية الآداب، مجلد ١٠، عدد ١، ١٩٩٨م.
- ٣- المضمرات النفسية والاجتماعية في شعر الصعاليك- تجربة الشنفرى نموذجًا-، د. شريف سعاد، مجلة سياقات اللغة والدراسات البيئية، المجلد الرابع، العدد الأول، أبريل ٢٠١٩م.
- ٤- جعفر بن علبة الحارثي، أخباره وما تبقى من شعره: علي ارشيد المحاسنة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ١٣ عدد ٢.

### رابعاً: الرسائل الجامعية:

- ١- المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، أحمد سليمان مهنا، إشراف أ. د. نبيل خالد أبو علي، رسالة ماجستير بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية- غزة، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- ٢- رؤية العالم في شعر الصعاليك حتى نهاية القرن الثالث الهجري، صغير بن غريب العنزى، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، إشراف: أ.د. صالح بن سعيد الزهراني، عام ١٤٣١ / ١٤٣٢هـ.